

إعادة قراءة التراث النحوي العربي في ضوء النظرية الخليلية الحديثة لعبد
الرحمن الحاج صالح

*Rereading the Arab grammatical heritage in the light of the new Khaliliene
theory of Abd al-Rahman al-Hajj Saleh*

طالب الدكتوراه / محمد فولاني

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي (الجزائر)

arrawi11@gmail.com

الدكتوراه / زهور شتوح

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة باتنة 1 الحاج لخضر - باتنة (الجزائر)

zhour.chettouh@univ-batna.dz

تاريخ الإيداع: 2020/04/16 تاريخ القبول: 2020/09/13 تاريخ النشر: 2020/08/25

ملخص:

لقد كان لعلماء العربية القدامى وخاصة النحاة منهم، دوراً بارزاً جداً في رقيّ الدرس اللغوي، قديماً وحديثاً، من خلال أعمالهم التي ميزتها الدقة والموضوعية، في تناول الموضوعات بحيث لا يُمكننا اليوم أن نُنكر جهودهم، ولا أن نستغني عنها تماماً، وذلك ما أشاد به عبد الرحمن الحاج صالح، في مختلف أعماله، من خلال دفاعه المستميت عن أعمال النحاة العرب القدامى، و دعواته الصريحة إلى الاعتداد بأعمالهم، وإعادة النظر والتمعن فيها، بما يخدم الدرس اللغوي عموماً، بعيداً عن الأحكام المُسبقة والمعايير الزائفة التي لا تخدم البحث العلمي بتاتا، وذلك ما حاولنا استقراءه وتقصيه في هذا المقال، اعتماداً على بعض ما ذكره عبد الرحمن الحاج صالح، في بعض مؤلفاته التي حفلت بمواقف الدعوة إلى إحياء التراث العربي القديم، وبعثه في حُلة جديدة و متميزة في ومضة تكاملية بين الأصيل والمعاصر خدمةً للغة ودرسها.

الكلمات المفتاحية: النحاة؛ القدامى؛ عبد الرحمن الحاج صالح؛ نظرة؛ اللساني،

النظرية الخليلية الحديثة.

Abstract:

There was to the old Arabic scientists , specially the grammarians, a great laighbrighted role in development of the linguistic lesson, then and now, through their works, which were characterized by accuracy and Objectivity , so we can't deny their efforts today, or dispense it totally, and that what did Abderrahman El hajj Saleh praise in his different works, through his desperate defense about the old Arabic grammarians works, and his explicit recommendations to be proud of their works, and reconsider it, in order to serve the linguistic lesson generally, far from the prejudices and false criteria that do not serve the scientific search, we tried to searching in this article depending on somewhat had Abderrahman El hajj Saleh mentioned in some of his works which had a flood of calls to alive the old Arabic heritage and give it a new special looking diverse between the inherent and the modern flosch, in favour to serve the language and its lesson.

key words: the grammarians; the old; Abderrahman El hajj Saleh; serve; the linguistic, new Khaliliene theory.

1. مقدمة

إن اتجاه الأستاذ "عبد الرحمان الحاج صالح" إلى إعادة قراءة التراث النحوي من خلال النظرية الخليلية الحديثة كان نتيجة إعمال فكر ، وإطالة نظر عكف عليها طوال أربعين سنة ، تحت هدف بعث الجديد عبر إحياء المكتسب ، فتجاوزت مرحلة الاقتباس السلبي عند نقلها عن الغرب / أو عند نشرها عن العرب وفي هذا يقول "الحاج صالح" :«هذا وأردنا أن لا تكون دراستنا للجانب الأهم من هذا التراث وهو الأصول العلمية التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عن غيرها ، مقطوعة الصلة عما ظهر في زماننا من النظريات العلمية في العلوم اللسانية»¹ ، وبذلك تطرح هذه النظرية موضوع التأسيس المستقل للسانيات العربية. طرحا علميا استقصائيا يثبت من خلاله العلاقة القائمة بين مناهج اللغويين العرب ومفاهيمهم وما توصلت إليه اللسانيات الحديثة يقول :«فحاولنا القيام بمقارنة بين ما قاله العلماء العرب القدامى وما قاموا به من بحوث وما توصلوا إليه من أفكار ومناهج التحليل وما يقوله العلماء المحدثون في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم كالبنوية المعاصرة الأوروبية منها والأمريكية وكالنحو التوليدي والتحويلي وكنظرية الخطاب وغيرها»² ، ويسعى هذا البحث إلى الوقوف عند بعض المفاهيم في التراث النحوي والتي عمل الحاج صالح على إعادة قراءتها .

2. تمهيد:

النظرية الخليلية الحديثة³ هي نظرية لسانية جديدة، ظهرت خلال الربع الأخير من القرن العشرين ، تختص بدراسة اللسان العربي دراسة علمية اعتمادا على مجموعة خاصة من المصطلحات والفرضيات .

وقد تأسست هذه النظرية بعد التأكد من قيمة ما أبدعه العلماء العرب القدامى ، وبعد أن أصبحت مناهجهم أداة لفهم الكثير من القضايا اللغوية، التي لاتزال عند الكثير من الباحثين غامضة مستغلقة⁴ ، ويسعى أتباع هذه النظرية إلى الإسهام الجاد في إعادة قراءة التراث العربي الأصيل، قراءة جديدة تتحلى بالموضوعية وعدم تبني أي أحكام مسبقة حول هذا التراث ، ومواصلة العمل من حيث توقف أسلافنا من دون التقيد بالتقليد الأعمى لكل ما هو تراثي⁵ ، وذلك لتطوير مناهج اللغة العربية ولإيجاد أدوات أكثر نجاعة في التحليل اللساني والمعالجة الآلية للغة .

وقد وصفت بالنظرية الحديثة، لأنها كما يقول الأستاذ "عبد الرحمان الحاج صالح" : « تمثل اجتهادا علميا تقويميا ، صدر في زماننا أدى إلى قراءة جديدة لما تركه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وتلميذه "سيبويه" خاصة ، وجميع من جاء بعدهما من النحاة الذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب "سيبويه" إلى غاية القرن الرابع»⁶ .

وتعتبر هذه النظرية امتدادا مباشرا لنظرية النحو العربي الأصيلة، التي وصفها "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت175هـ) وسيبويه (ت 180 هـ) ومن جاء بعدهما من النحاة الأفاضل أمثال : "ابن جني" (ت 392 هـ) و"الرضي الاستراباذي" (ت686هـ) وغيرهم ممن شافهوا فصحاء العرب ابتداء من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الرابع منه.

3. نسبة النظرية الخليلية الحديثة إلى الخليل

إن نسبة "النظرية الخليلية الحديثة" إلى العالم الفذ الخليل بن أحمد الفراهيدي ليست بالجديدة ، ذلك أن أول تنظيم علمي اقترح ذلك هو الحلقة اللغوية المعروفة باسم : " المدرسة الخليلية " ، وقد عرفها أحد أهم أعضائها بقوله : «وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة وبخاصة ما تركه سيبويه وأتباعه ممن ينتهي إلى " المدرسة الخليلية " وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه لما توصلت إليه اللسانيات الغربية : وكانت النتيجة أن تكوّن مع مرور الزمان فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناها الحديث ، يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه ومن تابعهما ولكن بعد التمحيص لما تركوه من الأقوال والتحليلات أي بعد التحليل النقدي الموضوعي لها»⁷ .

ويرجع الفضل في اقتراح هذه النسبة - المدرسة الخليلية - إلى الباحث المغربي الملقب بأبي الهندسة اللغوية العربية " أحمد الأخضر غزال " ⁸ -رحمه الله- وقد انتسب إليها بداية مجموعة من اللغويين المغاربة ثم مجموعة من اللغويين العرب إلى أن ذاع صيتها عالميا وذلك بعد الإنجاز الفريد الذي قدمه أحد أهم منتسبها وهو الباحث الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح فيما أطلق عليه النظرية الخليلية الحديثة (NKT) ، التي تعمل على بعث النحو العربي من جديد على ضوء ما استحدثته النظريات الحديثة ، وبالتالي تقترح مشروعاً متكاملًا لدراسة اللسان العربي وقضاياها ، حيث تستمد جميع الأصول والمفاهيم والمناهج التحليلية من أعمال النحاة العرب القدامى .

وقد سميت بالنظرية الخليلية على وجه التغليب تشريفًا لشخص "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وهي لا تعني الخليل وحده، لأنه لم يكن العالم الوحيد الذي تهتم النظرية الخليلية بأعماله وجهوده ، بل هناك رجال أكثر ممن عاصر الخليل، أو جاء بعده مدافعًا عن آرائه، لكنها نسبت إليه لأنه هو الذي سبق غيره إلى استعمال المفاهيم الرياضية لضبط نظام اللغة ، ووضع علم العروض واختراع الشكل ووضع الحركات على الحروف ووضع معجم العين ، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ "عبد الرحمان الحاج صالح" : « أما فيما يخص النظرية الخليلية وسميت هكذا بالتغليب لأن الخليل رحمه الله وإن كان هو العماد فيها إلا أنه قد أخذ كثيرًا عن شيوخه ثم إن سيبويه لم يكن من المقلدين أبداً ، بل أثرى هذه النظرية هو ومن جاء بعده » ⁹ .

وفي ذات الفكرة يقول الأستاذ في موضع آخر : « وأغلب ما تناولناه بالتحليل والتقويم هو ما ذكر من الأقوال العلمية للخليل بن أحمد في كتاب سيبويه (تفوق 600 قولًا وتحليلًا) وغيره ولذلك نسبت إليه بالتغليب وليس في ذلك أي تعسف لأن المنحى الذي نحاه سيبويه وأكثر المفاهيم الجوهرية التي تعرض لها في كتابه هي له » ¹⁰ .

4. أعلام النظرية الخليلية الحديثة ودوافع تأسيسها

وعن أهم الأعلام المنتمين إلى المدرسة الخليلية القديمة، الذين تعدهم النظرية الخليلية الحديثة أصلاً وعماداً في أبحاثها وتحليلاتها العلمية اللسانية، يقول الحاج صالح : « لا بد من ملاحظة هامة فإن الخليل ليس هو وحده المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء الأولين ، فهناك من عاصره وكان عبقرياً مثله ، وأذكر من هؤلاء الإمام الشافعي ، فهو في أصول الفقه بمنزلة الخليل في النحو وعلوم اللسان ... » ¹¹ « والبداية مع الأعلام الذين عاصروا الخليل بن أحمد وهم أساتذته وزملاؤه في المقام الأول ومنهم: القارئ "أبو عمرو بن العلاء" (70هـ-

154هـ) و"عيسى بن عمرو الأصمعي" (122هـ-215هـ) و"أبو الخطاب الأخفش الكبير" (ت 177هـ).

ليأتي في المقام الثاني تلاميذ الخليل الذين أشرف على تدريبهم وقد وفقوا أيما توفيق في إحياء علم الخليل، ثم الفطاحل الذين دافعوا عن علم الخليل وفكره بلغة العلم ومنهجه، وقد عرفوا فيما بعد بالمدرسة البصرية ومنهم: "المبرد" (ت210هـ) و"الأخفش الأوسط" سعيد بن مسعدة (ت215هـ) و"الجرمي" (ت225هـ) و"أبو عثمان المازني" (ت249هـ).

و في المقام الرابع ثلة من العلماء الذين تأخروا عن زمن الخليل لكنهم أشربوا علم العربية وصناعة النحو على أصوله وأولهم : "أبو بكر ابن السراج" (ت316هـ) و"أبو سعيد السيرافي" (ت368هـ) و"ابن كيسان" والفارسي" (ت377هـ) و"ابن جني" (ت392هـ) و"الرماني" (ت384هـ) ثم رجال متفرقون أبرزهم رائد المدرسة الأندلسية الإمام "السهيلي" (ت581هـ) و"رضي الدين الاسترابادي" (ت686هـ).

* وعن دوافع تأسيس هذه النظرية، ذكر الباحث في الكثير من المحاضرات التي ألقاها في الملتقيات العلمية والمحاضرات التي ألقاها على طلبته، أنه كان يقف على حقائق علمية أكثر بكثير من تلك التي توصل إليها الباحثون قبله، وقد لفت انتباهه ذلك أثناء تواجده في المشرق (مصر) للدراسة، وبفضل احتكاكه بالعلماء هناك وعكوفه على دراسة كتاب سيبويه، وتراث الخليل العلمي تبينت له رؤى جديدة أدرك خلالها قيمة هذين الرجلين يقول: «إن هذه المدرسة نتجت عن جهود متواصلة، وقد بدأت في التفكير فيما يقول الخليل وأنا طالب في الجامعة الأزهرية وبخاصة في كلية اللغة العربية، وقارنت بين ما اطلعت عليه في كتاب سيبويه آنذاك من أقوال الخليل وما قرأته، وكنت أقرؤه على شيوخنا في هذه الجامعة العتيقة، فلاحظت الفروق الكثيرة التي توجد بين ما ذهب إليه الخليل وشيوخه وتلامذته وخاصة سيبويه، وبين ما يقوله المتأخرون من النحاة، بل لاحظت فرقا كبيرا لا في النزعة العقلية ولا في مناهج التحليل وفي الاتجاه العلمي فقط، بل في كل شيء»¹².

وفي عام 1979م ناقش الأستاذ "عبد الرحمان الحاج صالح" أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في علوم اللسان من جامعة السربون بباريس، وكانت تحت عنوان: "علم اللسان العربي وعلم اللسان العام - دراسة تحليلية لنظرية المعرفة العلمية عند الخليل وأتباعه - وقد كانت هذه الرسالة الأكاديمية أول لبنة في التأسيس للصرح العلمي للنظرية الخليلية الحديثة داخل الأوساط العلمية الدولية¹³

وفي الحقيقة ، لقد تفتن العديد من اللغويين العرب المحدثين إلى خصوصية التراث النحوي الخليلي ، وإلى مهارات الخليل في التجريد والتصميم ، أو ما يعرف في وقتنا الراهن بالتفكير الرياضي ، كما أشادوا بالمنزلة الخاصة التي وصل إليها كتاب سيبويه ، فكل من يطلع على ما قاله "الخليل" في كتاب "سيبويه" ثم ما وضعه من النظام التركيبي للغة الذي بنيت عليه معاجم الناس بعد "الخليل" ، سرعان ما يقتنع بنزعة الخليل الرياضية في جميع ما يضعه من التحليلات والنظريات¹⁴ ، يقول الباحث " ميشال زكرياء " حول هذه الفكرة: «اللغويون الأوائل أمثال : الخليل وسيبويه وابن جني ... حللوا اللغة من منطلقات علمية بالإمكان اعتبارها متطورة جدا بالنسبة لعصرهم»¹⁵ .

كما أشاد العديد من اللسانيين العرب بجهود "الخليل" مقتنعين بفكرة مركزية التراث العربي الخليلي وأهميته البالغة لتقدم البحوث العلمية اللسانية العربية ، ويؤكد هذا قول الباحث " مازن الوعر": «لو التفت الغرب المعاصر إلى التأريخ اللغوي التراثي العربي لكان علم اللسانيات الحديث في مرحلة متقدمة عن الزمن الذي هو فيه ، هذه الحقيقة شاركني فيها عالم اللسانيات الأمريكي "نعوم تشومسكي" خلال حوار أجريته معه سنة 1982 م»¹⁶ ، ومع ذلك لم تكفل هذه الأوصاف التي قدمها لغويونا ببرهنة علمية جادة من خلال البحث العلمي المنهجي ، وهو ما اضطلع به الأستاذ "عبد الرحمان الحاج صالح" من خلال قراءته لهذا التراث الغني، لكي لا يظل فكر الخليل مغمورا مجهولا ، لاحبا للقديم في ذاته ، ولا محافظة من أجل المحافظة¹⁷ ، ولكن بغية التنبيه إلى الطفرة التلقائية المفاجئة التي أحدثها سيبويه وشيوخه في ظرف زمني قياسي جدا¹⁸ ، فالدرس اللغوي عند العرب نضج واكتمل منهجا وأصولا ومسائل في سرعة معجزة ، وقد خلص الأستاذ إلى نتيجة مهمة مفادها أن هناك مستويين مختلفين من الإنتاج العلمي اللغوي في التراث العربي الواحد ، وعن هذا يقول: «هناك تراث وتراث : طالما نادينا إخواننا اللغويين إلى الرجوع إلى التراث العلمي اللغوي الأصيل ، وما زلنا إلى يومنا هذا نحاول أن نقنع الناس على ضرورة النظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري ، وتفهم ما قالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلما توصل إلى مثلها كل من جاء من قبلهم من علماء الهنود واليونان ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب»¹⁹ .

وبعد هذا الفصل الحاسم بين مسلكين مختلفين منهجيا وتقنيا في التراث اللغوي العربي الواحد، هو أصل تقوم عليه النظرية الخليلية وسبب لانتسابها إلى "الخليل" وطبقته ويسمى هذا التراث الأصيل بالتراث اللغوي العلمي العربي ، يعرفه "الحاج صالح" بقوله: «هو ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمال جلييلة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن

للحفاظ على لغته ، وذلك بطريقة علمية وهو الاستقراء للنص القرآني واختراع نظام من الاعجام والنقط لتصحيح القراءة وظهر هذان العملان معا²⁰ ، وبالتالي يدخل فيما يسمى بالتراث العلمي حسب رأي "عبد الرحمان الحاج صالح" كل تأليف لساني كان موضوعه اللغة في ذاتها، ومن حيث هي وكان ملتزما في تحليله ومنهجه في الوصف والاستنباط بالمادة العلمية المستقرأة لا يزيد عليها ما ليس منها ، ولا ينقص منها ما هو ثابت فيها²¹ ، وهو بالفعل ما وجدته أصحاب النظرية الخليلية وعلى رأسهم الأستاذ "الحاج صالح" موجودا في آراء "الخليل" و"سيبويه" عند تحليلهما للغوي المبني من الواقع اللغوي، يقول الأستاذ في معرض حديثه عن المنطلق المنهجي لأرائهما: «إن الخليل وسيبويه لا ينطلقان في تحليلهما للكلام من أي افتراض ، بل من الواقع المحسوس ثم إنهما لا يقصدان من هذا التحليل الوصول إلى الوحدات أي العناصر التي يتألف منها اللسان وحصريها ثم إظهار نظام التقابل الذي تنتهي إليه ، فكأن اللسان في هذا التصور هو مجرد آلة ، وكأن غرض المحلل ينحصر فقط في تفكيك عناصرها وبيان تقابلها بعضها إزاء بعض ، فالنحاة العرب لا ينظرون إلى اللسان في ذاته ، بل ينظرون أيضا إلى تصرف الناطق بمبانيه وتفريعه فيه الفروع من الأصول»²² ، ومن هذا المنطلق يتبين بأن نظريات النحاة العرب القدامى تكتسي أهمية كبيرة جدا ، وهذا لا من حيث كونها مازال ذات قيمة كبيرة من الناحية العلمية بل من حيث إن مفاهيمها يمكن أن تستغل في الميدان التطبيقي ، كالعلاج الآلي للنصوص وتركيب الكلام الاصطناعي وعلاج المصابين بالحبسة وغير ذلك²³ .

5. مواقف لعبد الرحمن الحاج صالح عن التراث النحوي العربي القديم:

من السمات البارزة التي ميّزت أعمال وأبحاث "الحاج صالح" تلك النزعة المتمثلة في دفاعه عن كل ما له علاقة بالتراث اللغوي العربي القديم، وعن علماء العربية القدامى، من خلال دعوته إلى إعمال الأذهان في أعمالهم، بحيث لا يعني ذلك أن نستسلم استسلاماً تاماً لجميع آرائهم وأقوالهم، وتلك سمة تميّزها عبد الرحمن الحاج صالح في أبحاثه ومؤلفاته بصفة عامة، وفي ذلك يقول: «يستحيل أن يعيش الإنسان بالاعتماد على ما يصنعه هو وحده أو يرقى به العلم بدون أن يراعي ما ابتكره الآخرون، والعلم بهذا الاعتبار هو أحوج الأشياء إلى التفاعل والتداخل والأخذ بما يأتي به الآخرون، إلا أن الأصالة في هذا الأخذ تكمن في عدم الاطمئنان مُقدِّماً وقبل النظر إلى كل ما يصدر من الغير حتى يقوم الدليل الذي يحمل الإنسان بل يجبره على تقبل أقوال غيره.»⁽²⁴⁾ ، فمفهوم الأصالة من المنطلق الذي اعتمده عبد الرحمن الحاج صالح، لا يكمن في التمسك بالقديم فحسب، بل ينطلق من الشك فيما وصل إلينا، ومن ثمة إعمال العقل في التحقيق والتدقيق فيه، وسنحاول في هذا الصدد أن نتطرق إلى بعض ما قام

به عبد الرحمن الحاج صالح في دفاعه عن النحو العربي القديم وأعلامه، بخاصة ما تعلق منها بأعمال سيبويه والخليل بن أحمد، باعتبارهما الأصل الذي يعتمد عليه عبد الرحمن الحاج صالح الذي يضع فهما كل الثقة والاطمئنان العليمين في أعماله وأبحاثه النحوية المختلفة، «ونحن اليوم نطمئن إلى ما روى سيبويه لأنه رواه بالسمع عن فصحاء العرب وحدهم ولأنه لم يأت أي باحث على الإطلاق بحجج مقنعة عند جميع العلماء تناقض ما أتى به سيبويه من المسموع»⁽²⁵⁾، لكنه كان أحياناً يُقدم بعض الانتقادات للنحاة القدامى، ويُقدم بعض الأعداء دفاعاً عنهم، ومن أمثلة ذلك:

1.5 موقفه من الاستدلال بالنثر والشعر

يتضح موقف "الحاج صالح" من هذه القضية حين ذكر أنه من الأخطاء الجسيمة التي وقع فيها النحاة القدامى استدلالهم بالنثر والشعر العربيين، أكثر من استدلالهم بالقرآن الكريم، باعتباره الأعلى شأناً من النصوص البشرية، «وقول آخر ادعاه أيضاً أصحاب القول السابق «وهو تهاون» العلماء القدامى بالقرآن واستنباطهم لقواعدهم حتى دعا أحدهم إلى إعادة العمل الاستنباطي بالاعتماد على القرآن وحده وهذا القول في اعتقادنا إجحاف وظلم أيضاً»⁽²⁶⁾، ويُضيف متسائلاً ومُستغرباً من ذلك الاتهام الباطل بحسبه قائلاً: «فما في المسموع من كلام العرب نظماً ونثراً هو بالطبع كما قلنا أكبر حجماً مما في القرآن الكريم من العبارات فكيف يُلام علماء العربية بكثرة استشهادهم بكلام العرب وقد نزل القرآن بكلامهم؟»⁽²⁷⁾.

إن حديث عبد الرحمن الحاج صالح عن الاطمئنان بحسبه لا يعني الاستسلام والانقياد التام لجميع ما أقره العلماء العرب القدامى في أعمالهم، ولكن ذلك يستدعي التمحيص والفحص الواعي لتلك الأعمال، وذلك ما أدى بحسب أقواله إلى نوع من الجمود الفكري اللغوي نتيجة التقليد لأعمال السابقين، بخاصة فيما يتعلق بالمفاهيم الأدائية والتعبير الفني: «...فإن أكبر عيب يُبلى به الرجل المثقف هو أن يرتاح إلى ما يجده في نفسه من مفاهيم وأن يطمئن كل الاطمئنان إلى ما يجده عند غيره، لا لشيء إلا لأن هذه المفاهيم قد ارتضاها من يعرفه هو من العلماء، ولأن مجرى المادة تقتضي ذلك منه، فالباحث المقلد لا يحاول (إلا قليلاً)»⁽²⁸⁾.

2.5 موقفه من أعمال العلماء العرب القدامى

لقد كان عبد الرحمن الحاج صالح يعتد بأعمال العلماء العرب القدامى، ويُقدّر جهودهم العلمية إلى حد كبير، وقد أشار إلى ذلك في حديث له عن كبر حجم العلوم اللسانية عند قدماء الهنود إذ يقول: «وكانت عندهم ما لا يقل عن عشر مدارس ومذاهب في النحو واللغة وهذا عمل عظيم ما رأينا له مثيلاً فيما قبل ولا فيما بعد إلا ما أنتجه الفكر العربي القديم

والفكر الأوربي الحديث»⁽²⁹⁾، وهو يوقن بمدى أهمية أعمال الخليل بن أحمد وسيبويه في جميع الدراسات اللغوية، إذ يعتبرهما مرجعاً مهماً في هذا المجال، إضافة إلى الذين أدركوا وفهموا أعمالهما حق الإدراك والفهم، فلا شأن للدراسات اللغوية بعيداً عما جاء به كل منهما، وفي ذلك يقول: «وقد أيقنا أن الدراسات اللغوية لن يكون لها أي شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولوا أن يتفهموا ما قصده هذا الرجل العبقري بتعليقاته لظاهرة اللغة، وذلك بالرجوع أولاً إلى كتاب سيبويه وشروحه التي لا تزال مخطوطة وبالرجوع ثانياً إلى من أدرك مقاصده حق الإدراك مثل ابن السراج وأبي علي الفارسي وابن جني، وذلكم العالم الفذ الرضي الاسترابادي ويا حبذا لو درسوا في نفس الوقت نظريات علم اللسان الحديث.»⁽³⁰⁾، وفي ذلك دعوة صريحة منه إلى العودة الجادة إلى التراث العربي القديم، وفي ذات الوقت مواكبة كل ما هو حديث في عصرنا، وذلك ما يمكننا أن نقول عنه أصالة ومعاصرة بشرط التدقيق والتمحيص لكل ما ينبع منهما.

وعن التحريات الميدانية التي قام بها العلماء العرب القدامى يُقر عبد الرحمن الحاج صالح أن علماء العرب قديماً، كانوا يولون الجسّ والمشاهدة أهمية بالغة فيما يذهبون إليه في أعمالهم البحثية، وذلك ما اتّصف به الجاحظ الذي اعتبره عبد الرحمن الحاج صالح أقرب العلماء العرب إلى النحاة واللغويين اعتماداً على مبدأ الشك، كنقطة انطلاق في تلك الأبحاث⁽³¹⁾، وبقيام النحاة العرب بالسمع فإنهم يتمكنون بذلك من مشاهدة جميع ما يجري أثناء التخاطب من الكلام والحركات والإيماءات وغيرها، إضافة إلى أن المحدثين أيضاً شدّدوا في قبول التقل فأصبحت المعطيات لا تتعلق بالموارد فقط بل تشمل حتى المتحري، ممّا كان يجعل أبحاثهم تتّصف بالأمانة العلمية والموضوعية⁽³²⁾، ويقول في هذا المعنى متحدثاً عن النحويين القدامى في عصر الإبداع كما أسماه: «وقد عَيَّ كل عالم في ذلك الزمان بالتحقيق عنايةً لم يُر لها مثال، فهناك شيء عجيب يجب أن نلاحظه وهو أن هذه العصور التي كانت كلها إبداعاً واختراعاً من الناحية العلمية كانت أيضاً عصور التشدّد لأغلب الباحثين في تقبُّل المعطيات أيّاً كانت.»⁽³³⁾

ولقد دفع اهتمام عبد الرحمن الحاج صالح بتراث النحويين العرب القدامى، إلى التأليف في مجال الدرس اللساني الحديث، بعثاً لما أدلوا به في هذا الميدان، وإحياء لنهجهم، إذ يعترف في مقدمة كتاب من كتبه، -ألاً وهو كتاب البنى النحوية العربية- أنه سيتحدث في الكتاب عن البنى النحوية العربية، من وجهة نظر خاصة بالخليل بن أحمد، وتلميذه سيبويه، موضعاً الغاية من تأليفه له حين قال: «والغرض من هذه الدراسة هو الوصول بقدر الإمكان إلى تحديد المفاهيم العلمية التي اعتمد عليها النحاة العرب المتقدمون في تحليلهم للبنى النحوية

ومختلف الطرق التحليلية التي ساروا عليها لإثبات هذه البنى لفظاً ومعنى»⁽³⁴⁾، وأول عنصر تناوله بالبحث هو اعتباره لعلم النحو كدراسة علمية للبنى اللغوية، وذلك من أهم ما تركز عليه علوم اللسان حديثاً، وهو ما تميّز وأبدع فيه الخليل وسيبويه قديماً بحسب رأيه، إذ كان تحليلهما لمجري الكلام تحليلاً علمياً دقيقاً، وبين أسباب قوله بذلك فذكر بأن ثمة جانبين هامّين في النظر العلمي يجب اعتمادهما، إذ يُشبه الجانب الأول منه النظر في الظواهر الفيزيائية أو الجيولوجية وعلم الاجتماع، أما الجانب الثاني فهو يتعلق بالضوابط التي تتماشى والعلوم العقلية، كالمنطق والرياضيات وعلم الحاسوب⁽³⁵⁾، وعدم إعطاء الجانبين حقهما في القرن العشرين بحسبه، يُعدُّ عجزاً شاملاً للسانيين في تحقيق الدراسة العلمية، بينما أعطاهما العلماء المتقدمون حقهما الكامل في عهد الخليل وسيبويه، فيقول: «والسبب في ذلك هو تغليب المحدثين أحد الجانبين على الآخر»⁽³⁶⁾، ثم توجه إلى نقطة هامة تتعلق بسوء الفهم وتغيُّر المقصود، ضمن مبحث بعنوان: تحول ما جاء في الكتاب عبر الزمان، ليدُلنا على بعض تلك التحولات، وقد شرع بالتغيير الخاطئ الذي حصل في تعريف سيبويه لحروف المعاني، مبرزا أيضاً بأن موضوع كتابه سيكون عرضاً لتلك البنى، كما جاء بها النحويون العرب، وعن ذلك يقول: «إن موضوع هذا الكتاب هو البنى النحوية كما تصورها النحاة العرب من جيل الخليل وسيبويه غير مشوهة بما أصاب هذا التصور من تغيير ولذلك سيأتي كل ما نعرضه على القراء الكرام من قول أو تحديد أو تفسير مصحوباً بما صرح به هؤلاء العلماء أنفسهم عن الموضوع»⁽³⁷⁾، فكتابه هذا بمثابة إعادة بعث وإحياء للتصورات الحقيقية للنحاة العرب القدامى، وتصحيح لما وقع فيه غيرهم من الزلل والخلط في فهم أقوالهم، كما نبّه إلى ضرورة عدم الخلط بين مفهوم البنية في كتابه ومفهومها عند اللسانيين البنويين نظراً لاختلافهما، ذلك أن دي سوسور لم يُسميها كذلك بل أسماها نظاماً، ثم وصف نظراً سوسور للغة أنها أقرب إلى الفلسفة من العلمية⁽³⁸⁾.

3.5 موقفه من قضية العامل في النحو

يعد العامل من المفاهيم التي دافع عنها عبد الرحمن الحاج صالح، وقد جعله من الأساسيات التي اعتمد عليها في نظريته الخليلية الحديثة، إذ كان يرى أن بعض العلماء العرب المعاصرين لما أرادوا تطبيق اللسانيات على اللغة العربية، قاموا بهجمة شرسة على التراث العربي القديم، كأمثال إبراهيم مصطفى في كتابه إحياء النحو، الذي انتقد فيه مفهوم العامل، انتقاداً شديداً: «أساس كل بحثهم فيه أن «الإعراب أثر يجلبه العامل» فكل حركة من حركاته، وكل علامة من علاماته، إنما تبيح تبعاً لعامل في الجملة - إن لم يكن مذكوراً ملفوظاً، فهو مقدر ملحوظ - ويطلقون في شرح العامل وشرطه ووجه عمله، حتى تكاد تكون نظرية العامل

عندهم هي النحو كله»⁽³⁹⁾. بينما يعتبره عبد الرحمن الحاج صالح أساسياً في اللغة العربية، باعتباره هو الذي يتحكم في جميع العناصر التي تتكون منها الجملة العربية من الناحية الإعرابية والدلالية والنحوية على حد سواء، مع إمكانية أن يكون موضع العامل فارغاً وهو ما يعبر عنه في الرياضيات بالمجموعة الخالية أو الفارغة.. وهي أيضاً ذات دلالة، كما أن الموضع لا يتعلق بموضع الكلمة في الجملة فقط، وعليه يجب أن نحترم المعيار الخاص بكل لغة، وذلك الاحترام في حد ذاته دفاع عن الهوية المتعلقة بتلك اللغة، بالإضافة إلى ما سبق يمكننا أن ندرك أن ثمة فرق بين عبد الرحمن الحاج صالح وإبراهيم مصطفى، يتمثل في اعتداد الأول بأعمال سيبويه كما سبق وأن أشرنا، على خلاف الثاني الذي لا يرى ذلك ضرورياً إذ يعتبر ذلك من قبيل الفتنة حين يقول في كتابه: «..ولكن النحاة- والناس من ورأيهم- كانوا قد شُغِلوا بسيبويه ونحوه وفُتِنوا كل الفتنة. حتى كان الإمام أبو عثمان المازني المتوفى سنة 247 يقول: «من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح»⁽⁴⁰⁾»، وذلك وجه كبير للاختلاف الممكن أن نُدرکه بينهما.

4.5 موقفه من مفهوم اللفظة والكلمة

من الموضوعات الهامة التي دافع فيها عبد الرحمن الحاج صالح عن النحو العربي، مفهوم اللفظة والكلمة، حيث لم يخلط النحاة العرب الأولون عند تحليلهم للغة بين البنية الصورية النحوية للفظ وبين آليات الإفادة ، والمفاهيم الراجعة إلى المعاني وحدها ، ورأوا أنه من الضروري الانطلاق في تحليل اللغة من اللفظ وحده ، دون اللجوء إلى المعنى ، وأن يقدموا دراسة اللفظ على دراسة المعنى ، لأن المعنى يفهم من اللفظ ، فبدأوا تحليلهم من مستوى " اللفظة " باعتبارها أصغر وحدة من الكلام مما يمكن أن ينفصل ويبتدئ _ وحدة لفظية _ (Unité sémiologique) ، وهي أقل ما يمكن أن ينطق به مما يصلح أن يكون مبنياً على اسم أو فعل أو مبنياً عليه اسم آخر أو فعل ، وفي نفس الوقت وحدة إفادية (Unité communicationnelle) لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة ، وعلى هذا فهي تحتل مكاناً يتقاطع فيه اللفظ مع المعنى أو البنية بالإفادة «41» ، وهي المستوى الذي تتحد فيه الوحدة اللفظية والوحدة الإعلامية (أو الإفادية) ، وبالتالي فاللفظة la lexie هي أقل ما يمكن أن ينطق به من الكلام المفيد مما لا يقبل التجزئة إلى أصغر ويصح أن يكون جواباً لسؤال : من ألقى المحاضرة ؟ الأستاذ .

وقد أشار " سيبويه " إلى اللفظة في مواضع كثيرة من الكتاب بقوله : « لأنه قبيح أن تفصل بين الجار والمجرور ، لأن المجرور داخل في الجار فصارا كأنهما كلمة واحدة »⁴² أي أن

اللفظة مجموعة من الكلم تجري كأنها كلمة واحدة ، وكان " سيبويه " يعبر عن اللفظة في أماكن عديدة من " الكتاب " بأسماء أخرى ، مثل : " الاسم الواحد " أو " ما بمنزلة اسم واحد مفرد " ، ومن ذلك قوله عندما تعرض لموضوع النعت : « فأما النعت الذي جرى على المنعوت ، فقولك : مررت برجل ظريف قَبْلُ ، فصار النعت مجرورا مثل المنعوت ، لأنهما كالاسم الواحد) وإنما صارا كالاسم الواحد (من قبل أنك لم ترد الواحد من الرجال الذين كل واحد منهم رجل ، ولكنك أردت الواحد من الرجال الذين كل واحد منهم رجل ظريف »⁴³ ، ويعرف لنا الاستاذ " عبد الرحمان الحاج صالح " اللفظة " بقوله : « فإن الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكلم مجردة من لوازمها ، بل هي وحدات يندمج فيها الاسم والفعل مع ما يقترن به لزوما من أدوات مخصصة له ، وغير ثابتة (على صورة " دخول " و " خروج " يسمى عند نحائنا القدامى بالتعاقب) ، بل ومن وحدات مماثلة (أي من جنسها ومستواها) تخصصها على مثل ما تفعله الأدوات (إذ تقوم مقامها وتؤدي ما تؤديه) ، وذلك مثل المضاف إليه والتركيب المسى بالصلة والموصول والصفات وحتى الأبنية المسماة _ من حيث الإفادة فقط _ جملا »⁴⁴

فاللفظة إذا هي أحد أنواع الكلم مع ما يدخل عليه من علامات ، ومخصصات : بمعنى أنها عبارة عن تركيب الاسم مع الاسم ، أو الاسم مع الفعل ، أو الفعل مع الحرف ، وبناء على هذا المفهوم فإن العبارات التالية :

رجل ، الرجل ، مع الرجل ، رجل الغد ، بالرجل ، رجل قام أبوه أمس ، الرجل الذي قام أبوه أمس في الصباح الباكر... إلخ ، كل واحدة منها بمنزلة اسم واحد أي : " لفظة " بتعبير الرضي " لا كلمة .

أما الكلمة عند النحاة الأوائل ، فهي أدنى عنصر تتركب منه " اللفظة " ⁴⁵ ، إذ تتحدد بالموضع الذي تظهر فيه داخل المثال (الحد) ، وعلى هذا فالكلمة كاصطلاح نحوي حسب الأستاذ الحاج صالح ليست دائما مورفيما ، أي أقل ما ينطق به مما يدل على معنى ، بل هي العنصر الدال الذي يمكن أن يحذف من الفظة دون أي تغيير للعبارة ، كالحذف لحروف الجر مثلا في لفظة : " بالرجل " فخروجه لا يسبب تلاشي الاسم .

أما العنصر الدال الذي إذا حذف أو استبدل بشيء آخر أدى إلى تلاشي العبارة التي يدخل فيها كالتاء في " افتعل " والنون في " نذهب " ، وحرف المضارعة فهي مورفيما وليست كلما « لأنها عناصر داخلية في صيغة الكلم ، فهي من مكونات الكلمة وليست من مكونات اللفظة ، وليست لها الاستقلال النوعي للكلم »⁴⁶ .

وفي الأخير يمكن أن نقول في مفهوم اللفظة أنها تتألف من كلمة متمكنة مع مراعاة ما يدخل عليها من زوائد يميناً وشمالاً كل في موضعه، وبهذا فكل عبارة يمكن أن تنفصل وتبدأ في الحديث دون أن يكون فيها ما يمكن أن يفصل عنها فهي " لفظة " .

5.5 موقفه من القياس النحوي

يرمي النحو العربي إلى الحفاظ على النظام البنوي للغة العربية بالقياس على الكلام الفصيح ، فهو كما حدده " ابن جني " في قوله : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب »⁴⁷ وبالتالي يعتبر القياس مبدأ أساسياً عند النحاة الأوائل ، ويتطابق هذا المبدأ مع المناهج العلمية الحديثة التي تقتضي قواعدها الاطراد والتعميم والشمول⁴⁸ ، ولذلك اعتبر النحاة العرب النحو كله مقياس يبنى على أساسها الكلام الفصيح ، وعلى هذا الأساس عرفوا النحو بقولهم : « علم بالمقاييس المستنبطة من كلام العرب »⁴⁹ ، ويعرف الاستاذ " عبد الرحمان الحاج صالح " القياس بقوله : « والقياس كمصدر للفعل قاس هو تلك العملية المنطقية الرياضية التي سميها تفرعاً من الأصل على مثال سابق ، أي في ميداننا هذا بناء كلمة أو كلام باستعمال مواد أولية هي كالمعطيات واحتذاء صيغة الباب الذي ينتهي إليه العنصر المحدث ، ووهذا التفرع لا يجوز إلا إذا اطرده الباب وإذا لم يطرده فيقاس على الأكثر أي على الصيغة الغالبة في الباب وفي الاستعمال »⁵⁰

وبناء على هذا يحدث القياس في النحو العربي إذا بناء على المنطقية التي سماها "الأستاذ" تفرعاً من الأصل وذلك بغرض بيان التكافؤ بينهما في البنية ، وينتج عنه كيان اعتباري جديد يمثل الجامع الذي يوحد بين العناصر اللغوية ، ويلحق بعضها إلى بعض في الحكم ، ويسمى هذا الناتج باباً أو أصلاً أو حداً ، حيث إن التناظر بين الوحدات تراعى في ثلاثة شروط رئيسة هي :

_ الانتماء إلى نفس المستوى التحليلي .

_ الاشتراك في نفس الترتيب من حيث عدد الوحدات ورتبها المتسلسلة.

_ الاشتراك في هيئة عامة مطردة ، وهي مثال تدخل تحته تلك الوحدات المتكافئة باعتبار

الشروط المذكورة .

وبحمل القطع اللغوية بعضها على بعض يكتشف النحاة هذا المثال الجامع بينهما ، وهو الذي به يتعادل الحكم ، ويستدل به على أن هذه القطع من باب واحد .

والقياس كما ورد أيضاً عند الاستاذ " عبد الرحمان الحاج صالح " هو : « ما يثبت العقل

من انسجام وتناسب بين بعض العناصر اللغوية ، والعلاقات التي تربطها، ومن جهة أخرى ما

يثبته من تناسب بين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي (من الأصول إلى الفروع) «51.

ومن هنا فالقياس هو حمل شيء على شيء لجامع بينهما ، وحمل شيء في الحكم ، وهذا الحكم هو الذي يسمى في الوقت الحاضر في المنطق الرياضي بتطبيق النظر على النظر (Bijection) وتطبيق مجموعة على مجموعة ، حتى يظهر تطابق في البنية بين مجموعتين على الأقل أي تبرز البنية التي تجمع كل هذه الكلمات المحمولة بعضها على بعض .

ومفهوم القياس ، كمفهوم رياضي ظهر إلى الوجود في زمن "الخليل" وهو في النحو العربي الخليلي لا يقتصر على التحديد بالجنس والفصل ، أي باكتشاف الصفات المميزة Traits pertinents ، كما يفعل اللسانيون البنيويون الذين يكتفون بتقطيع الكلام إلى أدنى القطع الصوتية ، وتتحدد كل قطعة وفق قابليتها للاستبدال بقطعة أو أكثر لتقوم مقامها مع بقاء الكلام مفهوما ، ثم ينظرون إلى تغير المعنى ، وبالتالي يمكن القول أن البنيوية تنزع الفلاسفة الأرسطوطالية ، وخاصة في التحليل الفونولوجي ، وجوهر هذا المذهب كما يقول الأستاذ هو : « مبدأ الهوية فيكتفي أساسا بتشخيص العناصر والوحدات بانيا كل ذلك على مبدأ التفاعل بين العناصر الصوتية ، وهو أساس النظرة التشخيصية (réifiant) التي ينظر أصحابها دائما إلى الأشياء كأشياء وكذوات حتى ولو كانت أحداثا ، وهي نظرة تأملية محضة »52.

أما النحو العربي الخليلي الأصل فإنه لا يقتصر على التحديد بالجنس والفصل (définition par le genre et la différence spécifique) أي باكتشاف الصفات المميزة ، بل تجاوزوها بإجراء الشيء على الشيء أو حمل العنصر على الآخر53 ، لأنه لا يكتفي بالجنس الذي ليس إلا مجرد فئة تشترك عناصرها في صفة واحدة أو مجموع صفات ، بل يتجاوزون ذلك بإجراء عنصر على آخر على حد تعبير النحاة ، أي بجعل علاقة مباشرة بين العناصر الموجودة بين مجموعتين لاستنباط البنية التي تجمعها جميعا ، وبالتالي فهذا الحمل هو : « إجراء أي

عمل مضبوط يؤدي إلى اكتشاف المجموعات من العمليات المتكافئة ومن ثم الوحدات »54
فالجامع بين الوحدات كما يقول "الحاج صالح" ليس فقط جنسها « ولا يمكن أن تستخرج بإدخال بعضها في بعض ، بل بحمل كل جزء منها على نظيره إن كان هناك نظير مع مراعاة انتظامها أي مع اعتبار كل جزء في موضعه »55 ، وبالتالي يظهر القياس كعملية عقلية فطرية عبقرية ، أساسها العقلي والمنهجي هو حمل الأشياء على بعضها لاستنباط الجامع بينها ، وقد أثبت البحث الحديث في ميدان اللغويات أن اكتساب اللغة يقوم على أساسها ، والقياس « عملية إبداعية يمد اللغة صيغا وتراكيب لم تكن موجودة من قبل وهو ما يجعلها (أي: اللغة) حية تواكب التطور »56.

إن نظرة عبد الرحمن الحاج صالح للتراث العربي القديم، لم تكن نظرة انقياد واستسلام تامين لكل ما ذهب إليه اللغويون القدامى، ولكنه كثيراً ما كان ينتقد بعض توجهاتهم وأفكارهم بل وحتى بعض كتبهم ومؤلفاتهم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، ما قاله عن كتاب الإنصاف لأبي البركات بن الأنباري (المتوفى 577)، وذلك في كتابه منطق العرب في علوم اللسان، في فصله الرابع، أثناء حديثه عن موضوع الخلاف النحوي بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة، حين صرح بعدم إمكانية أن نعتبر كتاب ابن الأنباري مرجعاً موثوقاً به، في موضوع الخلاف النحوي بين الكوفة والبصرة في قضايا اللغة ونحوها، مُرجعاً سبب قوله بذلك إلى أن جميع من اعتمدوا عليه في بيان ذلك الخلاف، تحاشوا الرجوع إلى أقوال الكوفيين أنفسهم فيما يذهبون إليه، ممّا يُبعدهم عن الصبغة العلمية في موضوع هذا الخلاف، وعن ذلك يقول: «..ومن العجيب أن يكون كل واحد منهم قد اكتفى بما وجدته في هذا الكتاب ولم يفكر واحد منهم أن يُحقق ما جاء فيه من أقوال الكوفيين خاصة بالرجوع إلى كتبهم هي بالذات.»⁽⁵⁷⁾ ، وفي ذات السياق أثنى عبد الرحمن الحاج صالح على كتاب الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف لمحمد خير الحلواني، وقد اعتبره قولاً فصلاً في الحديث عن هذا الخلاف قائلاً: «وقد بين ذلك المرحوم الدكتور محمد خير الحلواني في كتابه: الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف.. ونعتبر هذا العمل القول الفصل في الموضوع»، وقد قدم فيه الحلواني أدلة مقنعة حول الموضوع، وبيّن ما كان فيه من وهم وأغلاط، وبعد غوص كبير لعبد الرحمن الحاج صالح في ثنايا الموضوع ذهب إلى بيان رأيه فيه، من خلال ملاحظة أوردها في كتابه، منوّهاً بكلام سيبويه في ذات الموضوع فقال: « نستخلص مما سبق: أولاً أن إنكار وجود مذهب نحوي في الكوفة ثم بغداد كان يخالف مذهب البصريين منذ الكسائي على الأقل لا دليل عليه وغير المعقول لما ذكرناه من كلام سيبويه الأخفش الأوسط حول آرائهم النحوية.»⁽⁵⁸⁾

هذه بعض من المواقف الكثيرة التي تجلت في بعض أعمال عبد الرحمن الحاج صالح، والتي تتسم بتنوعها وزخمها المعرفي الهام والمتنوع، في حقول الدرس اللغوي اللساني الحديث، والمتشعب عموماً بالكثير من مبادئ الفكر العربي القديم، كيف لا وكتبه لا يستغني قارئها بتاتاً عن الاطلاع على هوامشها الزاخرة بمختلف آرائه ونقاشاته حول كل ما يدور فيها من معارف ومعطيات، نرى أنه بات لزاماً أن نُعطي الرجل حقه من الدراسة والاهتمام.

خاتمة:

وفي الختام أفضت الدراسة التي حاولنا من خلالها توضيح موقف الحاج صالح من أعمال النحاة العرب القدامى وإعادة النظر فيها بما يخدم الدرس اللغوي إلى النتائج التالية:

- إن اهتمام عبد الرحمن الحاج صالح بتراث النحويين العرب القدامى، هو ما دفعه إلى التأليف في مجال الدرس اللساني الحديث، بحثاً لما أدلوا به في هذا الميدان، وإحياء لنهجهم، في إطار ما أسماه هو وثلة من الباحثين بالنظرية الخليلية الحديثة.
- تعتبر النظرية الخليلية الحديثة امتداداً مباشراً لنظرية النحو العربي الأصيلة، والتي وصفها "الخليل" و"سيبويه" ومن جاء بعدهما من النحاة ك"ابن جني" و"الرضي الاستراباذي" وغيرهم ممن شافهوا فصحاء العرب ابتداء من القرن الثاني الهجري حتى القرن الرابع منه.
- نعمتها بالنظرية الخليلية الحديثة (NKT)، هو نتيجة للاجتهاد العلمي التقويبي الذي صدر في زماننا هذا، والذي أدى إلى قراءة جديدة لما تركه الخليل وتلاميذه، وقد سميت باسمه على وجه التغليب تشريفاً لشخصه.
- تأسست النظرية الخليلية الحديثة بعد التأكد من قيمة ما أبدعه العلماء العرب القدامى، ويسعى أتباعها إلى الإسهام الجاد في إعادة قراءة التراث العربي الأصيل، قراءة جديدة تتحلى بالموضوعية وعدم تبني أي أحكام مسبقة حول هذا التراث، ومواصلة العمل من حيث توقف أسلافنا من دون التقييد بالتقليد الأعمى لكل ما هو تراثي.
- دافع الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح عن كل ما له علاقة بالتراث اللغوي العربي القديم، وعن علماء العربية القدامى، من خلال دعوته إلى إعمال الأذهان في أعمالهم، بحيث لا يعني ذلك أن نستسلم استسلاماً تاماً لجميع آرائهم وأقوالهم وقد اتضح ذلك من خلال مواقفه التالية:
- أقر "الحاج صالح" في قضية الاستشهاد النحوي أن النحاة القدامى أخطأوا عند استدلالهم بالنثر والشعر أكثر من القرآن الكريم باعتباره الأعلى شأناً من النصوص البشرية.
- يعد العامل من المفاهيم التي دافع عنها عبد الرحمن الحاج صالح، وقد جعله من الأساسيات التي اعتمد عليها في نظريته الخليلية الحديثة، باعتباره المتحكم في جميع العناصر التي تتكون منها الجملة العربية من الناحية الإعرابية والدلالية والنحوية على حد سواء، مع إمكانية أن يكون موضع العامل فارغاً وهو ما يعبر عنه في الرياضيات بالمجموعة الخالية أو الفارغة، وهي أيضاً ذات دلالة، كما أن الموضوع لا يتعلق بموضع الكلمة في الجملة فقط، وعليه يجب أن نحترم المعيار الخاص بكل لغة، وذلك الاحترام في حد ذاته دفاع عن الهوية المتعلقة بتلك اللغة.
- دافع "الحاج صالح" عن مفهوم اللفظة والكلمة، ورأى أن النحاة العرب الأولون لم يخلطوا عند تحليلهم للغة بين البنية الصورية النحوية للفظ وبين آليات الإفادة،

والمفاهيم الراجعة إلى المعاني وحدها، ورأوا أنه من الضروري الانطلاق في تحليل اللغة من اللفظ وحده ، دون اللجوء إلى المعنى ، وأن يقدموا دراسة اللفظ على دراسة المعنى ، لأن المعنى يفهم من اللفظ.

- أشاد الحاج صالح بالقياس في النحو العربي، ويحدث القياس حسبه بناء على المنطقية التي سماها "الأستاذ" تفرّيعاً من الأصل وذلك بغرض بيان التكافؤ بينهما في البنية، وينتج عنه كيان اعتباري جديد يمثل الجامع الذي يوحد بين العناصر اللغوية، ويلحق بعضها إلى بعض في الحكم، ويسمى هذا الناتج باباً أو أصلاً أو حداً.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2014.
2. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص. تح: محمد علي النجار، ط2، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية
3. أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: مصطفى الشويبي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963.
4. التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي، روية، الجزائر، ط2.
5. سيبويه، الكتاب، تح: اميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420 هـ - 1999 م
6. - الشريف بوشحدان، التفكير اللساني العربي القديم من خلال النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللسانيات واللغة العربية، ع: 01، 2006 _ عنابة _ الجزائر.
7. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر 2012، الجزء الأول.
8. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر 2012 م.
9. عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. 2016.
10. عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر 2012 م.

11. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، سلسلة علوم اللسان عند العرب، موفم للنشر، الجزائر 2012.
12. عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع: 10، 1996.
13. مجلة اللسانيات، معهد العلوم الانسانية والصوتية (سابقا) جامعة الجزائر، مجلد: 06، 1984م.
14. مجلة التراث العربي، دمشق، عدد: 48، السنة 12 تموز، يوليو، 1992م، محرم 1413هـ.
15. ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد الجملة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1986م.
16. النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية - كراسات المركز، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد: 04، 2007م.

الهوامش

- 1- الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص: 07.
- 2- المرجع نفسه، ص: 07.
- 3- ورمزها الدولي المختصر هو: NKT أي New Khalilienne Théory
- 4- أنظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص: 176.
- 5- ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص: 281.
- 6- النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية - كراسات المركز، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد: 04، 2007م، ص: 5.
- 7- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 208.
- 8- هو أحد أعضاء أكاديمية المملكة المغربية منذ تأسيسها سنة 1977م، ومن أبرز الأعمال العلمية التي انكب عليها الفقيه مشروع: حصر الرصيد اللغوي لدى أطفال المغرب العربي (تونس / الجزائر / المغرب) والذي تمخض عنه ما يعرف بـ "معجم الرصيد اللغوي" وهو عبارة عن معجم يضم جميع الألفاظ العربية التي يمتلكها الأطفال المغاربة قبل ولوجهم المدرسة، وهو ما يمكن الباحثين من إعداد مناهج التعليم ومعاجم الأطفال على نحو علمي، وممن اشترك معه في إعداد وإجراء هذا البحث الميداني اللغوي الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح و اللغوي التونسي أحمد العابد، وقد أسلم الفقيه روحه في الرباط يوم 13 نوفمبر

2008 م ، ينظر: الترجمة التي أعدها الدكتور علي القاسبي للفقيد بتاريخ 17 نوفمبر 2008 م ونشرت في منتدى اللسانيات تحت الرابط الإلكتروني التالي : <http://www.moheet.com/show>

news.aspx ?nid=199903&pg:8

9 - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1 ، ص : 20.

10 - النظرية الخليلية الحديثة – مفاهيمها الأساسية - كراسات المركز ص : 05 .

11 - النظرية الخليلية الحديثة ، مجلة اللغة والأدب ، معهد اللغة العربية وأدائها ، جامعة الجزائر ، ع : 10 ، 1996 ، ص : 85-86 .

12 - التواتي بن التواتي ، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، دار الوعي، روية، الجزائر، ط2، ص: 89 .

13 - قدم العمل الذي قام به الأستاذ الحاج صالح أفضل خدمة للبحث في التراث العربي ، والتعريف بأعمال النحاة العرب القدامى داخل إطار البحث العلمي في اللسانيات العربية ، وقد كان الحاج صالح أحد الشخصيات المعروفة بالنسبة لجمهور علماء اللسان في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وذلك من خلال جملة البحوث والدراسات التي شارك بها في المنتقيات العلمية لعلوم اللسان ، ونشرت في كبريات المجلات المحكمة الفرنسية منها والأمريكية والألمانية والتي كانت في جملتها تصب في إطار العرض والتعريف باللسانيات العربية وخاصة جهود الخليل نذكر منها :

- البحث اللغوي ومشاكل تداخل المنشأ اللغوي « recherche linguistique et interférence de

substrats » paru dans « journées d'information sur la relation entre la langue arabe et la langue française » sassenage, 1974.

مقال منشور في كتاب : بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ص: 35-64.

- مفهوم المقطع والنظرية الحركية الديناميكية عند علماء الأصوات العرب « La notion de syllabe » met la théorie cintico-impulsionnels des phonéticiensarabe » مقال منشور في كتاب : بحوث

ودراسات في علوم اللسان ، ص: 1-25 .

- اللسانيات وصوت العربية : « Linguistique et phonétique arabe » مقال منشور في كتاب : بحوث

ودراسات في علوم اللسان ، ص: 65-120 .

14 - ينظر: التواتي بن التواتي ، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، ص : 87.

15 - الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد الجملة العربية (الجملة البسيطة) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط2 ، 1986 م ، ص : 05.

16 - نشر الحوار في مجلة اللسانيات ، معهد العلوم الانسانية والصوتية (سابقا) جامعة الجزائر ، مجلد: 06 ،

1984 م ، وفي مجلة التراث العربي ، دمشق ، عدد: 48، السنة 12 تموز ، يوليو ، 1992 م ، محرم 1413 هـ .

17 - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1 ، ص: 280.

18 - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1 ، ص : 54.

19 - المرجع السابق ، ص : 168-169.

20 - السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، ص: 07 .

- 21 - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 2 ، ص : 24- 25 .
- 22 - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1 ، ص : 20 .
- 23 - ينظر: النظرية الخليلية الحديثة – مفاهيمها الأساسية - كراسات المركز ، ص : 18 .
- 24 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص:12.
- 25- عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص:260.
- 26 - المرجع نفسه، ص:333.
- 27- المرجع نفسه، ص:334.
- 28 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص:20.
- 29- المرجع نفسه ص:62.
- 30 - المرجع نفسه، ص:10.
- 31 - يُنظر المرجع نفسه، ص:95.
- 32 - يُنظر المرجع نفسه، ص:97.
- 33 - المرجع نفسه، ص:98.
- 34 - عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2016، ص:03.
- 35 - يُنظر المرجع نفسه، ص:04 و ص:05
- 36 - المرجع نفسه، ص:05.
- 37 - المرجع نفسه، ص:18 و ص:19.
- 38 - يُنظر المرجع نفسه، ص:19 و ص:20.
- 39 - إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2014، ص:29.
- 40 - المرجع نفسه، ص:22.
- 41 - الحاج صالح ، ابحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1 ، ص : 219 .
- 42 - سيوييه ، الكتاب ، ، تح : اميل بديع يعقوب ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1420 هـ – 1999م ج 2 ، ص : 164 .
- 43 - سيوييه ، الكتاب ، ج:01 ، ص : 488.
- 44 - الحاج صالح ، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ج 1 ، ص : 192 .
- 45 - الحاج صالح ، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ج 1 ، ص : 221 .
- 46 - المرجع نفسه ، ص : 221 .

- 47- ابن جني ، الخصائص ، ج1، ص: 114 .
- 48 - شريف بوشحدان ، التفكير اللساني العربي القديم من خلال النظرية الخليلية الحديثة ، مجلة اللسانيات واللغة العربية ، ع : 01 ، 2006 _ عنابة _ الجزائر ، ص : 139 .
- 49 -ينظر: أحمد بن فارس ، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تح : مصطفى الشويبي ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1963 .
- 50 - الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج1 ، ص : 323 .
- 51 - الحاج صالح ، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ص : 195
- 52 - الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص : 209-210 .
- 53 - المرجع نفسه ، ص: 212 .
- 54 - الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1، ص : 246 .
- 55 - المرجع نفسه ، ص : 212 .
- 56 - التواتي بن التواتي ، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، ص: 123 .
- ⁵⁷ - عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص: 258 و 259 .
- ⁵⁸ - المرجع نفسه، ص: 273 .